قراءة جديدة في سيرة النبي العربي المزعوم قبل الإسلام
(خالد بن سنان العبسي)

أ.م.د أحمد كاظم جواد
كلية الإمام الكاظم (عليه السلام) / أقسام بابل

A new reading of the biography of the alleged Arab prophet before Islam (Khaled bin Sinan Al-Absi)

Assistant Professor Ahmed Kadhim Jawad

Abstract:

The Arabian Peninsula was filled with a number of events, and these events contributed to shaping its religious reality, which was greatly reflected in its intellectual and doctrinal nature over a period of time. We are highlighting an important figure, namely the Arab Prophet Khalid bin Sinan al-Absi and his tribe, who painted a picture of the religious conflict between beliefs. A conflicting religious figure in the pre-Islamic period of the Arabs. This character was the subject of disagreement among the sources about his role and influence in the Arabian Peninsula

Article history
Received: 11/8/2024
Accepted: 21/8/2024
Published : 30 /9/2024
تواريخ البحث
تاريخ الاستلام: 2024/8/11
تاريخ القبول: 2024/8/21
تاريخ النشر: 30/ 9/ 2024

الكلمات المفتاحية : عبس-خالد-بطاريا- المطولة

Keywords : Abas - Khaled - Batarya – Al-motola tribe

© 2023 THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE

http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

Corresponding author:
ahmedkadhim@iku.edu.iq

DOI:
https://doi.org/10.61710/ca4c6596

المستخلص :

شهد عصر ما قبل الاسلام في شبه الجزيرة العربية جملة أحداث اشتركت في رسم واقعه الديني الذي انعكس بدوره على طبيعته الفكرية والعقدية ردحاً من الزمن ، وفي هذا البحث نُسلط الضوء على شخصية النبي العربي (خالد بن سنان العبسي) وقبيلته، إذ كان لهم دور مهم في رسم صورة من صور الصراع الديني بين العقائد الدينية آنذاك، وسبب اختيار هذه الشخصية يعود للخلاف بين المصادر التي تناولت دوره وأثره في المنطقة.

المقدمة :

انمازت حياة العرب قبل الإسلام بالأحداث والشخصيات الكثيرة التي يجب عدم البحث عنها بنحو الإجمال، فلابد من التفصيل، لاسيماً عن

الشخصيات المغمورة التي لم تكن الأمور على أفضل ما يرام في عصرها، بل كانت صعبة دينياً واجتماعياً وفكرياً، وفي خضم هذه الأحداث المتسارعة يتطلب الامر مواكبة الوعي العربي قبل الإسلام، من أجل فهم المنظومة القيمية التي في ضوئها يتبلور الفكر العربي.

إنّ موضوع مواجهة الأنبياء من قبل أقوامهم موغل في القدم، وسجل البشر فيه سجلاً كبيراً وصل إلى حدّ التفنن في تلك المواجهات، وما أسباب إبادة الكثير من القبائل العربية قبل الإسلام إلا من أجل هذا الأمر.

تُعدّ قبيلة (بني عبس) من القبائل المهمة في شبه الجزيرة العربية التي ضمت شخصيات مهمة ولامعة، وواحداً من تلك الشخصيات النبي (خالد بن سنان العبسي) الذي لم يُشبع بحثاً ودراسة، ومن هنا جاءت أهمية الموضوع الذي ذكرتهُ جملة مصادر ومراجع التي ساعدتنا في انجاز هذا البحث مثل الكتب التفسيرية وقصص الأنبياء والقبائل، وقد أفادتنا الأولى والثانية لإثبات نبوة خالد υ، والثالثة في دراسة قبيلته ولو بالنزر اليسير. وهنا تكمن (إشكالية البحث) في البحث عن اجابات لأسئلة متعددة اهمها: ما هي هوية خالد؟ هل هو نبي أم لا ؟ وهل هو نبياً أم رسول ؟ وهل كانت لديه ابنة أم أخت جاءت إلى رسول الله ؟ وكل ذلك جعل الموضوع خلافياً أكثر، وكلما تعمقت المصادر تعمقت الإشكالات معها، فكان ذلك جزءاً من تنوع أفكار البحث. مع الاشارة إلى وجود دراسة للدكتور قاسم جودة عداي بعنوان (النبي خالد بن سنان العبسي دراسة تاريخية) فيها مُنطلقات مُتممة لبحثنا الذي سيكون من زاوية أخرى والله الموفق .

المعتقد في شبه الجزيرة العربية :

إنّ كتابة تاريخ الأنبياء له من الفضل عند الله الشيء الكثير، ونحن نسلط الضوء على شخصية غير مشهورة في تاريخ العرب قبل الإسلام بين المصادر التاريخية ، إذ كان عهده قريباً من العهد النبوي بخمسين أو أربعين عاماً قبل البعثة (الحويزي، 1992، صفحة 604/1)، وربما يمثل عهده انعكاسة حقيقية للواقع المرير الذي عاشه هذا النبي في زمانه ؛ وقبل الحديث عن هذا النبي لابدّ لنا من التعريف بقبيلته (عبس) لتكون الصورة التاريخية واضحة عن بيئته .

أولاً / قبيلة بني عبس :

من أهم القبائل العربية قبل الإسلام، فهم من العرب العدنانيين (فانديك، 1896، صفحة 289)، وكان شعارهم قبل الإسلام (يالعبس) (الصلابي، 2002، صفحة 384)، إذ يشكلون بطناً كبيرة من غطفان من قيس بن عيلان من العدنانية، وينتسبون تحديداً إلى "عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان" (المصري، دون تاريخ، صفحة 57)، الذين تقع مضارب خيامهم في منطقة نجد، وهي من القبائل العربية المحاربة ؛ ولهم أيام مشهورة في الجاهلية استمرت لوقت طويل مع القبائل الأخرى ، وأشهر من ينسب إليهم الفارس عنترة بن شداد

العبسى[*] شاعر الجاهلية (المصري، دون تاريخ، صفحة 57)، والشاعر المتصعلك عروة بن الورد [*]، وغيرهم كثير. أما أهم بطون عبس فهي (كحالة، 1968، صفحة 83/1):

1- بطارية (كحالة، 1968، صفحة 335/1).
2- خرازة (كحالة، 1968، صفحة 335/1).
3- رنف (كحالة، 1968، صفحة 448/2).
4- شغار (كحالة، 1968، صفحة 595/2) .
5- قطعبة (كحالة، 1968، صفحة 959/3).
6- كفرا (كحالة، 1968، صفحة 988/3).
7- المطولة (كحالة، 1968، صفحة 1111/3).
8- مناصير الغرير (كحالة، 1968، صفحة 1141/3).
9- موانع (كحالة، 1968، صفحة 1157/1) .

وبمجملها تُشكل فروعاً من قبيلة بني عبس التي تحد ديارها بوادي الجبل في الشمال، ووادي العين والدريب في الجنوب، بين ساحل البحر إلى مسافة 25 ميلا في الداخل حتى سلسلة الهضاب الساحلية (كحالة، 1968، صفحة 1157/3).

ثانياً/ النبي العربي المزعوم خالد العبسي :

كانت المدة بين نبوة النبي عيسى ونبي آخر الزمان محمد ρ مرحلة فيها أحداث كثيرة ، فعلى الصعيد الديني بدأ الانحراف واضحاً على العرب لا سيما في مرحلة قبل الإسلام، وعند مراقبة الوضع

(*) عنترة بن شداد العبسي : من قبيلة عبس العدنانية " أي من عرب الشمال " نبغ عنترة قبل الدعوة الإسلامية بأربعين سنة وكانت أمه جارية سوداء اسمها زبيدة " توفي نحو سنة 600م أي قبل الهجرة باثنتين وعشرين سنة .وله سيرته المشهورة فيها ما جرى له بسبب محبوبته عبلة وما ظهر صداقة خادمه شيبوب له . (فانديك، 1896، صفحة 289).

(*) عروة بن الورد : ينتهي نسب عروة إلى قبيلة عبس ، فهو "عروة بن الورد بن زيد بن عبد الله بن ناشب بن هريم بن ليدم بن عوذ بن غالب بن قطيعة بن عبس" ، فهو من هذه الناحية في شرف من قبيلته ، ولكن أباه وقبيلته كانت تتشاءم به ؛ لأنه هو الذي أوقع الحرب بينها وبين فزارة بمراهنته حذيفة . أما أمه فإن عروة نفسه يذكرها في شعره أنها من نهد من قضاعة ، ولكن الشيء الذي يلفت النظر في حديث عروة عن أمه أنه دائم السخط على هذه الصلة التي ربطت بين أبيه وأمه ، حتى إنه يهجو أخواله هجاء كبيراً ، ولعل من أسباب هذا أن قبيلة نهد كانت أقل مكانة و شرفا من قبيلة بني عبس ، أو ربما لأسباب أخرى. (خليف، دون تاريخ، صفحة 83/1).

بنحو تاريخي عن كثب من طريق المطالعات الدقيقة نلمح تغيراً فكريًا كبيرًا في طبيعة الفكر والمعتقد آنذاك، فما يدور في ذهن العربي يُعد منوعا، وربما يكون العربي قد أطلق لمخيلته العنان للتبحر في اللاهوت بطرق وأنواع مختلفة، وما يهمنا يتعلق بمقدار النزعة والرغبة العارمة التي تدفع العربي إلى مثل هذه النزعات، ولعلّنا نلمح بعضها حتى في تاريخنا المعاصر .

صدقاً أقول إنّ الشخصية العربية عولت في أفكارها على بلورة معتقدات يمكن القول عنها إنّها محور طريقة تفكيره؛ و لابأس من معرفة منعطفات الحال الذي سار عليه .

عندما نتأمل في المنطقة الجغرافية التي شغلتها شبه جزيرة العرب آنذاك ونفكك حجم الديانات السماوية في أرضهم أو الأرض المجاورة لها سنجد كماً هائلاً من التجارب الدينية التي يفترض أنّها تُشبع رغباته الدينية التي يحقّ لي إن جاز التعبير أن أصفها بالانعطافة ، وإلا ما معنى أن تكون هذه التجارب وبهذه القوة من غير أنّ تفيد الذهنية العربية عن إدراك الموجود في الوجود!، رغم إنّ التجارب الفاشلة كانت محط أنظارهم ولمراحل مختلفة، وأعني بذلك أوابد العرب، فكيف لنا أن نفهم هذه العقلية في ضوء قوة الحدث التاريخي وشدته؟ بل يمكنني أن أصفه بالحدث الكبير الذي أُشبهه بالسيل العرم .

ما هي الفائدة التي حققها العربي من تمسكه بالمعتقد ؟ وما الذي لم يتحقق؟ ويمكن لي بصراحة أن أقول إنّ العربي لم يحالفه الحظ في فهم أبعاد الدعاة(الأنبياء)، والدعوات(رسائل الأنبياء ومعجزاتهم)، وتعترينا الحيرة لأول وهلة عندما نُطالع حجم الدمار الذي لحق أرض العرب بسبب الإبادات الكثيرة والمتكررة التي يفترض أن تعطي صورة جلية وواضحة عن الخالق العظيم جل وعلا قدرته ، وأيضاً تشكل درساً بليغاً يجب تأمله مطولاً.

ولعلّ ما ذكرت آنفاً إنما أُريد به توطئة لذكر النبي العربي خالد بن سنان العبسي الذي يُعدّ من أنبياء الله تعالى المُرسل إلى قومه، وعند متابعة النصوص تعترينا حيرة تجعلنا نستوقف النص عند كلّ كلمة، مثلاً إنّ الله قد أرسل النبي خالد إلى قومه/ قبيلته، والسؤال هنا: لماذا لم يشتهر ذكر النبي خالد بينهم؟ وقد صرحنا عند الحديث عن قبيلة بني عبس عن شاعرين قد بلغت شهرتهم الآفاق، بينما نجد إنّ هذا النبي ذكرته المصادر على هامش السيرة من غير ذكر تفاصيل خاصة أو عامة عنه! رغم إنّ التدوين في هذه المرحلة لابأس به، فهل هناك لغز يقبع خلف هذه التكتيم؟ فربما إنّ قبيلة بني عبس لم ترغب أن تذيع إن بينها نبي خشية التعرض للهجمات البربرية لقطاع الطرق، أو أنّ دعوته كانت تعارض مصالحهم الخاصة، أو ممكن أن نقول إنّ العنف الذي واجههُ قد أخفى بريق دعوته إذ سرعان ما أفلت بموته .

كل التساؤلات السابقة تحتاج إلى إجابات، نعم من الممكن وجود ردود أفعال قوية في حال نجاح دعوته، أو أنّ التعتيم الإعلامي كان مقصودة حتى ينتهي موضوعها بسرعة وسرية، فالشكوك تحوم حول

الموضوع بمختلف زواياه، لذلك يجب مراجعة النصوص التي ذكرته، ثم نبين وجهات النظر عنه لتكون الصورة واضحة وجلية .

ولنبدأ بنسبه إذ ذُكر أنّه " خالد بن سنان بن (غيث) بعيث بن مريطة بن مخزوم ابن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس " (الصدوق، 1984، صفحة 659) وهذا النسب الذي يثبت أنه من قبيلة بني عبس خالصة قطعي لا جدال فيه إذ لم تختلف المصادر أو المراجع فيه.

تذكر النصوص إنّ شخصية خالد رُسمت لنا عن طريق زيارة ابنته إلى النبي محمد ρ إذ يذكر النصّ ما يلي: " وكانت بنت خالد بن سنان النبي عليه السلام حاضرة عند رسول اللّه صلَّى اللّه عليه وآله فقال رسول اللّه : إنّ اباها كان نبيّا شريفا ضيّعه قومه " (البيهقي، 1986، صفحة 54)، وعند هذه العبارة نقف ونتأمل كثيراً: ماذا تعني ضيعه قوم؟ هل إنّ النبي خالد جرى استهدافه من قومه؟ هل كان النبي يقصد بذلك الضياع المعنوي بمعنى عدم تحقق الاستفادة من دعوته؟ حقيقة إنّ نصَّ الرواية أعلاه فيه الكثير من الاحتمالات حتى يمكن أن نقول إنّه تم اغتياله. ثم تذكر الرواية التالي: " فلمّا سمعت هذه المرأة سورة الإخلاص قالت: يا رسول اللّه انزل اللّه على أبي عليه السّلام معاني هذه السّورة وقال: هي التوحيد. فقال رسول اللّه صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم لها: ما انزل اللّه على أبيك الهي واحد احد ليس له والد ولا ولد لا مثل له ولا نظير، فهو الغنىّ الحقّ القيّوم، لا اله إلا هو ربّ الدنيا والآخرة " (البيهقي، 1986، صفحة 54). وهذا النص يُدلل على إنّ النبي خالد كان لديه كتاب من الله بمعنى أنّه مُرسل إلى قومه فعلاً وليس كما تذكر بعض النصوص أنّه كان خائفاً أو أنّه كان نبياً وليس رسولا . والسؤال هنا: ما هو كتاب النبي خالد؟ وماهي مضامينه؟ وهل إنّ ابنة النبي خالد كانت على علم بتفاصيله لكنّها لم تذكرها خشية من قومها؟ أما المضمونان الواردان في النصّ فهما بأسلوبين مختلفين لكن معناهما واحد! وهذا يدفعنا للاستفهام عن طبيعة عقيدة الشرك ومدى تأثيرها في نفس العربي وكأنّه مجبول عليها رغم كل هذه الإيضاحات منه سبحانه وتعالى .

ولعل في معرض مطالعتنا للنصوص لمسنا أمراً مهماً يكمن في النصّ التالي "مرحبا وأهلا بابنة نبي ضيعه قومه، إنه أخي خالد" (الراوندي، 1988، صفحة 950/2) مفاده: لماذا قال عنه النبي ρ أنّه أخي؟ هل المقصود من ذلك الاشتراك بالنبوة أم بالعروبة؟ أم لأنّه كان قريباً من عصره حتى عبر عنه بهذا التعبير؟ ويبدو أنّ المقصود هو اشتراك الأمرين معاً بدليل إنّ هناك الكثير من الأنبياء لم يُعبر عنهم النبي بهذا التعبير .

أما أسلوب دعوته لقبيلته فكان كما تذكر النصوص أنّه دعاهم إلى عبادة الله الواحد، وهذا يدل على أنّ عقيدة الشرك كانت قد استشرت في قبيلة بني عبس، وقد ذُكر ما نصه:" أنّ خالدا دعا قومه فأبوا أن يجيبوه، وكانت نار تخرج عليهم كل يوم فتأكل ما يليها من مواشيهم، وما أدركت لهم من غلاتهم" (الراوندي، 1988، صفحة 950/2) ، يبدو في ضوء النص أنّ التحذير كان قائماً على هذه القبيلة من

الله، لكن والله العالم إنّ استمرارهم في العصيان والجحود قد بدأ يزداد ويزداد معه العقاب الدنيوي، ولكن فلنتأمل شكل وحجم النار التي تستطيع أن تبيد كل ما موجود من غلات ومواشي، والظاهر إنها كانت رسائل تحذيرية من الله إليهم بسبب عدم استجابة قبيلة عبس إلى هذا النبي العربي ، والسؤال هنا: هل كانت النّار كهيئة البركان التي غالباً ينطبق عليها الوصف المذكور آنفاً؟ كون البراكين تزحف وتأخذ شكل سريان مثل الماء اذا كانت حرارتها عالية لا يمكن معها تدارك أي شيء أو إيقافها بسهولة؛ وربما تكون ناراً خلقها الله كنوع من العقاب وهي خاصة بطبيعة الحال، وربما كانت وسيلة إعجازية خاصة بهذا النبي لدرجة أنهُ يستطيع أن يُسيطر عليها أو يتمكن من تهدئتها حتى يتمكن قومه من الامتثال لرسالته ودعوته؛ والدليل على ذلك أنّه قال لقومه: "يا قوم إن رددتها عنكم تؤمنون بي وتجيبونني وتصدقونني؟ قالوا: نعم" (الراوندي، 1988، صفحة 950/2) ، وهذا يؤيد ما طرحناه آنفاً من أنّها كانت معجزته. ولكن كيف يتمكن من السيطرة عليها؟ فيبدو من خلال النصوص الواردة والروايات أنّه كان " يستقبلها عند خروجها بيده حتى أدخلها غاراً وهم ينظرون فدخل معها ثم مكث حتى طال مكثه وأبطأ عليهم، فقالوا: إنّا لنراها قد أكلته" (الراوندي، 1988، صفحة 951/2) ، أي إنّ النّار قد قضت عليه ؛لأنّه دخل إلى الغار بصحبة النّار، وهو أمر تذهل معه العقول ؛لأنّ ذلك يجعله أمام قومه رمزاً للسلام والأمان لهم بدليل إنه قد وعدهم بأبعاد خطر النّار عنهم في حال آمنوا بالله وأطاعوا أمره، ولكن يبدو أنّ قبيلته لم تكن تستوعب الأمر الرباني، وكانت تبني على أساس إنّ النبي خالد ألتهمته النيران وهنا حصلت المعجزة حينما " خرج من الغار وقال: أتجيبونني وتؤمنون بي؟ قالوا: نار خرجت ثم دخلت لوقت. فأبوا أن يجيبوه، فقال لهم: إنّي ميت يوم كذا، فإذا أنا مُت فادفنوني، ثم دعوني ثلاثة أيام ثم انبشوا عني ثم سلوني أخبركم بما كان وما يكون إلى يوم القيامة " (العيني، دون تاريخ، صفحة 72/17) ، ولما علم منهم أنّهم لم يدركوا مكانته بوصفه نبيا زاد من حجة إبلاغهم حينما رفضوا الانصياع له، ووعدهم بوعد في حال التزامهم به فإنه سيخبرهم بكلّ الحوادث والاخبار إلى يوم القيامة وفق مسار خاص رسمه لهم على أمل أن يصدقوه ويؤمنوا به ويطبقوا موضوع دفنه ونبشه بعد ثلاثة أيام من موته، لكنهم خافوا منه ومن معجزته لذا "لما جاء ذلك الوقت توفي ، فقال بعضهم: لم نصدقه حيّا؟ أنصدقه ميتا! فتركوه" (الراوندي، 1988، صفحة 950/2) ، أي إنهم لم يفوا بوعدهم له، بل حاولوا أن يخفوا خبره. لقد أدرك النبي خالد أنّ هؤلاء لا مجال لنصحهم كونهم مشركين وغير مستعدين للتضحية بعقيدتهم الدينية الفاسدة بعقيدة سماوية توحيدية، فعلاً إنها مأساة العقل العربي حينما يُصر على خطأه متوهماً إنه على حقّ أمام فرص لا تكرر ولا تعوض في مرحلة تسمى(فترة الأنبياء) (المجلسي، 1983، صفحة 137/9) ، وقد عُبرَ عن النبي خالد أنّه النبي البدوي (المجلسي، 1983، صفحة 179/10) .

كانت هذه النار التي تأتيهم كل عام تُسمى (نار الحدثان)، التي بدأت تأكل من رجالهم عقاباً لفعلهم الذي قاموا به (الحاكم النيسابوري، دون تاريخ، صفحة 589/2) (المجلسي، 1983، صفحة 448/14)

، رغم إنه وعدهم بانه سيقضي عليها بثوبه، فقط و تسمى أيضاً بنار الحرتين ويعد النبي خالد هو من أول أبناء النبي اسماعيل (العسقلاني، دون تاريخ، صفحة 69/12) (المجلسي، 1983، صفحة 449/14).

وتشير المصادر إن أسم ابنة النبي خالد (محياة) (الريشهري، 1996، صفحة 3182/4)، في حين إنّ الحاكم النيسابوري يذكر نقلاً عن البخاري أنّ ابن النبي خالد هو الذي زار النبي محمد وليس ابنته(الحاكم النيسابوري، دون تاريخ، صفحة 589/2)، وإنّ خالد بن سنان في منطقة في عرض البحر وإنّ النبي خالد فيها محتبيا ورأسه على يديه في منطقة بين الاندلس والقيروان ، في جبل في عرض البحر كما ذكرنا آنفاً (الحاكم النيسابوري، دون تاريخ، صفحة 600/2) .

في حين إنّ الهيثمي في كتابه مجمع الزوائد يورد تفاصيل أكثر تتعلق بالحادثة ويقول ما نصه: " فقال له عمارة بن زياد رجل من قومه والله ما قلت لنا يا خالد قط الا حقّا فما شأنك وشأن نار الحرتين تزعم أنّك تطفئها قال: فانطلق معه عمارة ابن زياد في ناس من قومه حتى أتوها وهي تخرج من شق جبل في حرة يقال لها حرة أشجع فخط لهم خالد خطة فأجلسهم فيها وقال إنّ أبطأت عنكم فلا تدعوني باسمي فخرجت كأنّها خيل شقر يتبع بعضها بعضا فاستقبلها خالد يضربها بعصاه ويقول بدا كل مها مردا زعم ابن راعية المعزى أني لا أخرج منها وثيابي تندي حتى دخل معها الشق فأبطأ عليهم قال : فقال عمارة بن زياد والله لو كان صاحبكم حيّا لقد خرج إليكم بعد" (الهيثمي، 1988، صفحة 213/8) ؛ وفي هذا النصّ نجد أنّ شخصية (عمارة بن زياد) كانت صلة الوصل بين النبي خالد وقومه، ويبدو أنّ له جاهاً في قومه ووجاهة والسبب أنّه بمجرد أن طلب منهم ذكر خالد سمعوا له ولقوله من غير الالتزام بتوصيات النبي خالد .

ثم يستمر النص: " . . . فقالوا إنّه قد نهانا أن ندعوه باسمه قال : فادعوه باسمه فو الله لو كان صاحبكم حيّا لقد خرج بعد فقال إنّه قد نهانا أن ندعوه باسمه فخرج إليهم آخذا برأسه قال ألم أنهكم أن تدعوني باسمي فقد والله قتلتموني فادفنوني فإذا مرت بكم الحمر فيها حمار أبتر فانبشوني فإنكم ستجدوني حيّا قال فمرت بهم الحمر فيها حمار أبتر فقال انبشوه فإنّه أمرنا أن ننبشه فقال عمارة بن زياد لا تحدث مضر عنا انا ننبش موتانا والله لا تنبشوه أبدا..." (الهيثمي، 1988، صفحة 213/8) . اذاً في ضوء النص إنّ قبيلة بني عبس خشيت على نفسها أن تعير بأنّها قد نبشت قبور موتاها ، والسؤال هنا إذا كان الأمر كذلك لماذا قال عنه النبي " رجل ضيعه قومه" معناه إن الأمر كان مقصودا ومتعمدا.

كان النبي خالد قد أخبرهم أنّ لدى زوجته علم ، فإذا أشكل عليكم أمر فانظروا فيهما فإنكم سترون ما تسألون عنه، أي بمعنى لديها خبرة في التعامل مع هذه الحالة شرط الا تمسهما حائض، قال فلما رجعوا إلى امرأته سألوها عنهما فأخرجتها وهي حائض فذهب ما كان فيهما من علم ومعرفة (الطبراني، دون تاريخ، صفحة 237/11) (الهيثمي، 1988، صفحة 213/8).

هناك من يرى أنّ شعيب وصالح وهود كانوا أنبياء عرب، ولهم شرائع محددة ومعلنة، أما النبي خالد فهو فعلاً نبي لكن موضعهُ كحال أنبياء بني إسرائيل الذين لم تكن لهم كتب أو شرائع (المعتزلي، دون تاريخ، صفحة 114/7) (الكاشاني، 2003، صفحة 240/2) ، مستندين إلى قول النبي إنّه ليس بينه وبين عيسى نبي، ونقول إنّ النبي كان يقصد أنبياء أولوا العزم فالنبي خالد لا يُعد منهم (المناوي، 1994، صفحة 61/3) ؛لأنّ هناك ثلاثة انبياء من بني إسرائيل ونبي من العرب (الطبرسي، 1998، صفحة 487/1).

وتجدر الاشارة إلى وجود رأي يتعلق بحادثة الفيل التي ارتبطت بهدم الكعبة على يد ابرهة الحبشي سنة 570م، فعندما وصل الفيل إلى الكعبة المشرفة امتنع من التوجه إليها ليكون ذلك انذاراً للمهاجمين وموعظة، والفيل امتنع من ذلك بمعجزة من النبي خالد بن سنان، وتوطئة لنبوة الخاتم محمد (ص) الذي ولد في هذا العام، والذي يبدو أنّ النبي خالد كان معاصراً لهذا الحدث العظيم والكبير في شبه الجزيرة العربية (الطوسي، 1989، صفحة 410/10)؛ لكن الطبرسي اعترض على هذا الرأي وقال بإمكانية وجود معجزة من غير نبي (الطبرسي، 1998، صفحة 477/10) ، إلا إننا مع الرأي الذي يربط حادثة الفيل بالنبي خالد إذ لا مانع من تحقق ذلك كون أنّ عظمة الحادثة تصل إلى الإعجاز .

إنّ النبي ρ قال عن النبي خالد: " إنّه كان نبيا هلك بين مكة والمدينة، وقال لو نبشوه لأخبرهم بشأني وشأن هذه الأمة وما يكون فيها وما كان، ولكنه ضيعه قومه" (الخطيب البغدادي، 2006، صفحة 414)، وبناء على هذا النص يتضح أنّ منازل بني عبس قريبة على مكة ، وهو قريب من عهد رسول الله في مرحلة قبل الإسلام والدعوة الإسلامية، ومن المحتمل أن يكون بني عبس قد سكنوا الطائف، ومن الممكن أنّهم أسسوا كعبة خاصة بهم هناك [(*)].

ويبدو أنّ دافع تحركهُ ، كما يشير الخطيب البغدادي كان من أجل أن يمتنع العرب عن عبادة النيران اذ أورد ما نصه: "إنّي اقتل هذه النيران كيلا تعبدها العرب " (الطبرسي، 1998، صفحة 487/1) .

هناك رأي يقول : إنّ النبي خالد دعا العرب إلى عبادة الله وفق عقيدة النبي عيسى (شراب، 1990، صفحة 99/1) وهذا رأي ليس بمستبعد أيضاً وفق الانتشار الديني للمسيحية في المنطقة ولكن إن حدث ذلك –أي نشر دين عيسى – فهو خروج عن المألوف في المنطقة التي عاش فيها .

(*) هناك إشارات لأحداث مماثلة ومتقاربة تتحدث عن هذه العبادة ربما ارتبطت بعد ذلك بالصنم مناة ، فعلى رأي إن العرب في هذه المرحلة بدأت تمزج بين الديانة الوثنية والتوحيدية. (الملاح، 2008، صفحة 403).

ومهما يكن من أمر كان هناك إدراك لدى النبي خالد أنّ عقيدة العربي ممكن أن تتغلب على عقيدة التوحيد وتميل إلى الوثنية، لأنّ الكثير من القبائل قد فتشت وبحثت عن الاستقلال الديني الذي تعدّه جزء من استقلالها وعدم تبعيتها لمناطق أو قبائل أو دول أخرى .

وبهذا نستطيع القول إنّ الخذلان لهذا النبي كان سبباً لنهايته لتطوى صفحته في طيات التاريخ، وليكون شاهداً حيّاً عن طبيعة التفكير الديني عند العرب قبل الإسلام.

الخاتمة :

- وفق بحثنا وما توصلنا إليه تتهاوى الفرضية التاريخية الثابتة في جميع المصادر والمراجع عن عدد أنبياء العرب الخمسة [*]، ليصبح عددهم ستة[**] وفق بحثنا ولله الحمد .
- كان النبي خالد يمثل نبي مرحلة فترة الأنبياء العرب(أي قلة وجود الأنبياء).
- كانت معجزتهُ مواجهة النّار والتحكم بها رغم عدّها نارا خاصة للعقاب وللجزاء.
- كانت رسالته محدودة بقبيلته، ولم تكن رسالته عالمية أو مثل رسائل أنبياء أولو العزم .
- استطاع أن يزيل فكرة عبادة النّار، إذ كان يتوقع إن خوف قبيلته من النار سيؤدي بهم إلى عبادتها .
- أدركت ابنته النبي ومارست دوراً إعلاميا مائزاً لتنال اهتمام النبي محمد ρ .
- قد يكون هناك ارتباط بين حادثة الفيل والنبي خالد بحكم التقارب المكاني والزماني.
- عبر عنه رسول الله ρ (بأخي) إشارة إلى عروبته ودعوته الرسالية أيضاً.
- كانت سيرة حياة هذا النبي هي سيرة مقتضبة بالمصادر، نزيرة بمعلومات متناثرة هنا وهناك، مع إشارات طفيفة جداً، ويمكن أن نعزو ذلك للتكتيم الإعلامي من قبيلته، وتذرعوا بحجة عدم نبش قبره للقضاء عليه .

---

[*] ذهب الى هذا الرأي الكثير من الباحثين أما على الإجمال أو على التفصيل مثلاً إن منهم من يذكر (إسماعيل – هود – صالح – شعيب – محمد) عليهم الصلاة والسلام أما بنحو منفرد عند الحديث عن كل نبي منهم بنحو خاص أو يتم ذكرهم معاً . (مغنية، 1980، صفحة 365/3) (الطباطبائي، دون تاريخ، صفحة 304/15) (ملا حويش، 1965، صفحة 281) (الفيومي، 1994، صفحة 78).

[**] حنظلة بن صفوان الرسي ، يذكر فيه أنّ هذا الرجل كان من أنبياء العرب أرسله الله إلى أهل الرس وأصحاب حمير في اليمن ولكن الإشارات عنه والتفاصيل ضعيفة جداً . (الزركلي ، الاعلام ، 286/2).

المصادر :

ابن أبي الحديد المعتزلي. (دون تاريخ). *شرح نهج البلاغة* (المجلد 1). (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم) بيروت: دار إحياء الكتب العربية.

ابن حجر شهاب الدين العسقلاني. (دون تاريخ). *فتح الباري* (المجلد 1). بيروت: دار المعرفة الجامعية.

ابن زيد علي البيهقي. (1986). *معارج نهج البلاغة* (المجلد 1). (تحقيق: محمد تقي دانش،) قم المقدسة، ايران.

أبو سعيد المصري. (دون تاريخ). *الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي* (المجلد 1). القاهرة: مطبعة النهضة.

أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي. (2006). *تاريخ الأنبياء* (المجلد 1). (تحقيق: آسيا كليبان علي البارح) بيروت: دار الكتب العلمية.

ادوارد كرنيليوس فانديك. (1896). *اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، أشهر التآليف العربية في المطابع الشرقية والغربية* (المجلد 1). القاهرة: مطبعة الهلال.

الحويزي. (1992). *تفسير نور الثقلين* (المجلد 1). (تحقيق: عاشم الرسولي المحلاتي) قم المقدسة، ايران: مؤسسة اسماعيليان.

الفضل بن الحسن الطبرسي. (1998). *تفسير جوامع الجامع* (المجلد 1). قم المقدسة: مؤسسة النشر الإسلامي.

سليمان بن أحمد الطبراني. (دون تاريخ). *المعجم الكبير* (المجلد 2). (تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي) بيروت: دار إحياء التراث العربي.

عبد القادر محمود آل غازي ملا حويش. (1965). *بيان المعاني* (المجلد 1). دمشق: دار الترقي.

علي بن أبي بكر الهيثمي. (1988). *مجمع الزوائد* (المجلد 1). بيروت: دار الكتب العلمية.

عمر رضا كحالة. (1968). *معجم قبائل العرب* (المجلد 2). بيروت: دار العلم للملايين.

فتح الله الكاشاني. (2003). *زبدة التفاسير* (المجلد 1). بيروت: مؤسسة المعارف للطباعة والنشر.

قطب الدين الراوندي. (1988). *الخرائج والجرائح* (المجلد 1). (تحقيق: محمد باقر الأبطحي) قم المقدسة، ايران: مؤسسة الإمام المهدي.

محمد إبراهيم الفيومي. (1994). *تاريخ الفكر الديني الجاهلي* (المجلد 4). بيروت: دار الفكر العربي.

محمد الريشهري. (1996). *ميزان الحكمة* (المجلد 1). قم المقدسة: دار الحديث.

محمد باقر بن محمد تقي المجلسي. (1983). *بحار الأنوار* (المجلد 2). بيروت: مؤسسة الوفاء.

محمد بن الحسن الطوسي. (1989). *التبيان في تفسير القرآن* (المجلد 1). (تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي) بيروت: دار إحياء الكتاب العربي.

محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري. (دون تاريخ). *المستدرك* (المجلد 1). (تحقيق: يوسف بن عبد الرحمن المشهدي) بيروت، لبنان: دار المعرفة.

محمد بن علي بن الحسين الصدوق. (1984). *كمال الدين وتمام النعمة* (المجلد 1). (تحقيق: علي أكبر غفاري) قم المقدسة، ايران: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة للمدرسين بقم.

محمد بن محمد شراب. (1990). *المعالم الأثيرة في السنة والسيرة* (المجلد 1). دمشق: دار القلم.

محمد جواد مغنية. (1980). *التفسير الكاشف* (المجلد 1). بيروت: دار العلم للملايين.

محمد حسين الطباطبائي. (دون تاريخ). *تفسير الميزان* (المجلد 1). قم المقدسة: مؤسسة النشر الإسلامي.

محمد عبد الرؤوف المناوي. (1994). *فيض القدير شرح الجامع الصغير* (المجلد 1). (تحقيق: أحمد عبد السلام) بيروت: دار الكتب العلمية.

محمد محمد الصلابي. (2002). *الانشراح ورفع الضيق عن شخصية أبي بكر الصديق شخصيته وعصره* (المجلد 1). القاهرة: دار التوزيع والنشر افسلامية.

محمود بن أحمد العيني. (دون تاريخ). *عمدة القاري* (المجلد 1). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

هاشم يحيى الملاح. (2008). *الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام* (المجلد 1). بيروت: دار الكتب العلمية.

يوسف خليف. (دون تاريخ). *الشعراء الصعاليك في الجاهلية* (المجلد 1). بيروت: دار المعارف.